الباب الرابع

ما أثاره الكشاف من نشاط فكرى

همنا فى هذا الفصل أمران : الأول نقد النقاد لتفسير الكشاف والأمر الثانى ما أثاره كشاف الزمخشرى من نشاط عقلى . .

ولنعرض أولا لنقد النقاد وليكن أولهم ابن خلدون الذى يرى : أن التفسير صنفان صنف نقلى والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان فى معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب ، وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول بل هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة . نعم قد يكون فى بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشرى من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد فيأتى الحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له فى آى القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان[1] .

ويقول فى موضع آخر مشيراً إلى منزلة الكشاف فى البلاغة واللغة وأحوج ما يكون إلى هذا الفن — يقصد فن البيان — المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشرى ووضع كتابه فى التفسير وتتبع آى القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدى البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٢ — ٣٨٤ ط المطبعة البهية بمصر .

البلاغة ولأجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة فمن أحكم عقائد السنة وشارك فى هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة فيعرض عنها ولا تضر فى معتقده فإنه يتعين عليه النظر فى هذا الكتاب للظفر بشىء من الإعجاز مع السلامة من البدع والأهواء[١] فابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) يرى أن للكشاف مزية البحث الفنى فى الإعجاز ولكنه ينعى عليه تسخيره مبحثه الجمالى لخدمة المذهب الاعتزالى .

أما ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) فله رأى فى التفاسير المذهبية ومن بينها تفسير الكشاف . فما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين تارة من العلم بفساد قولهم وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلا على قولهم أو جواباً على المعارض لهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله[٢]. فابن تيمية يرى فى تفسير الكشاف فصاحة سامة تدس البدعة والناس غافلون عنها .

وهذا تاج الدين السبكى الأشعرى (ت ٧٧١ هـ) ينقد الكشاف بقوله : « اعلم أن الكشاف كتاب عظيم فى بابه ومصنفه إمام فى فنه إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته يضع من قدر النبوة كثيراً ويسىء أدبه على أهل السنة والجماعة والواجب كشط ما فى كتابه الكشاف من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام[٣] يقرئه فلما انتهى إلى كلامه فى قوله تعالى فى سورة التكوير : (إنه لقول رسول كريم) الآية أعرض عنه صفحاً وكتب ورقة حسنة سماها « سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف » وقال فيها : « رأيت كلامه على قوله تعالى "عفا الله عنك"

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٨ .

(٢) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٢ .

(٣) هو والده تقى الدين السبكى ت ٧٥٦ هـ .

وكلامه فى سورة التحريم والزلزلة وغير ذلك من الأماكن التى أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبى صلى الله عليه وسلم مع ما فى كتابه من الفوائد والنكت البديعة » فانظر كلام الشيخ الإمام الذى برز فى جميع العلوم وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار منقولا ومعقولا فى حق هذا الكتاب الذى اتخذت الأعاجم دراسته فى هذا الزمان ديدنها والقول عندنا فيه أنه لا ينبغى أن يسمح بالنظر فيه إلا لمن صار على منهاج السنة لا تزحزحه شبهات القدرية[١]. وهذا النص يشهد للكشاف وصاحبه بعلو كعبه فى فن التفسير ولكنه يطعن فى اعتزاله وفى إساءته الأدب فى حق الرسول فى مواضع من تفسيره ثم هو بعد يكشف لنا أن الكشاف كان مشغلة الأعاجم فى القرن الثامن الهجرى وما قبله .

أما نظام الدين القمى النيسابورى[٢] فيعلن فى مقدمة تفسيره أنه يتضمن حاصل التفسير الكبير للرازى وجامع لأكثر التفاسير وجل كتاب الكشاف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة الغريبة مما لم يوجد فى سائر التفاسير أما الأحاديث فإما من الكتب المعتبرة وإما من الكشاف والكبير إلا الأحاديث الموردة فى الكشاف من فضائل السور فإنا قد أسقطناها لأن النقاد زيفوها إلا ما شذ منها . وأثبت القراءات المعتبرة . والوقوف المعللات ثم التفسير مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغى إتمامه من المسائل الموردة فى الكبير ومع حل ما يوجد فى الكشاف سوى الأبيات المعقدات فإنه يوردها من ظن أن تصحيح القراءة وغرائب القرآن إنما يكون بالأمثال . كلا فإن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه[٣] فنظام الدين ينقد صاحب الكشاف فى استشهاده بالضعيف من الأحاديث وهى أحاديث فضائل السور كما يأخذ عليه أنه يجعل القراءة أصلا فى التفسير، وإن كان قد عول على تفسيره فيما عدا ذلك .

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكى ص ١١٤ و ١١٥ ط ليدن سنة ١٩٠٨ م .

(٢) توفى فى أوائل المائة التاسعة .

(٣) تفسير النيسابورى على هامش تفسير الطبرى ج ١ ص ٤ — ٦ .

أما الشيخ حيدر (ت ٨٣٠ هـ) وهو تلميذ السعد التفتازانى فيصارحنا فى حاشيته بنقده على الكشاف الذى يرى كل كتاب بعده فى التفسير لو فرض أنه لا يخلو عن النقير والقطمير إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة ولا تجد فيه شيئاً من الحلاوة إلا أنه لإخطائه سلوك طريق الأدب وتصلبه فى باطل الاعتزال تكدرت مشارعه الصافية وتضيقت موارده الصافية وتنزلت رتبته العالية منها : إنه كلما شرع فى تفسير آية من الآى القرآنية مضمونها لا يساعد هواه ومدلولها لا يطاوع مشتهاه صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة وتعسفات جامدة وصرف الآية بلا نكتة من غير ضرورة عن الظاهر تحريفاً لكلام الله سبحانه وتعالى وليته يكتفى بقدر الضرورة بل يبالغ فى الإطناب والتكثير لئلا يوهم بالعجز والتقصير فتراه مشحوناً بالاعتزالات الظاهرة التى تتبادر إلى الأفهام والخفية التى لا تتسارع إليها الأوهام .

ومنها أنه يطعن فى أولياء الله المرتضين من عباده ونعم ما قال الرازى فى تفسير قوله تعالى : (يحبهم ويحبونه) خاض صاحب الكشاف فى هذا المقام فى الطعن فى أولياء الله تعالى وكتب منها (ههنا) ما لا يليق بالعاقل أن يكتب مثله فى كتب الفحش فهب أنه اجترأ على الطعن فى أولياء الله تعالى فكيف اجتراؤه على كتبه ذلك الكلام الفاحش فى تفسير كلام الله المجيد .

ومنها أن مع تبحره فى جميع العلوم على الإطلاق وتميزه بلطائف المحاورة ونفائس المحاضرة أورد أبياتاً كثيرة وأمثالاً غزيرة بنى على الهزل والفكاهة أساسهما . ومنها أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة فتارة يعبر عنهم بالمجبرة وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد وهذه وظيفة السفهاء الشطار لا طريقة العلماء الأبرار [1] .

فتأخذ الشيخ حيدر على الزمخشرى أنه معتزلى مؤول فى التفسير طاعن على أولياء الله ورسله وأهل سنته مستشهد بأبيات بنى أصلها على فكاهة وهزل

---

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة ص ١٤٨٢ و ١٤٨٣ .

والمقام مقام تفسير القرآن . ولا ندرى ما هى تلك الاستشهادات المبنية على الهزل .

وهذا السيوطى يجادل علم الدين صالح بن السراج عمر البلقينى الشافعى (ت ٨٦٨ هـ) رأيه فى الكشاف : ويقدم السيوطى بين يدى ذلك الجدال رأيه هو فى الكشاف فى حاشيته «نواهد الأبكار» على تفسير البيضاوى : بعد ذكر قدماء المفسرين : «ثم جاءت فرقة أصحاب النظر فى علوم البلاغة التى بها يدرك وجه الإعجاز وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة فلذا طار كتابه فى أقصى المشرق والمغرب . . . وقد نبه فى خطبته مشيراً إلى ما يعجب فى هذا الباب من الأوصاف ولقد صدق وبر ورسخ نظامه فى القلوب وقر». وتعقبه البلقينى فى الكشاف قائلا : «قصد الزمخشرى بما أبان الإشارة إلى براعته فى علم المعانى والبيان وكيف يترجح فنان جمعهما أوراق يسيرة قد وضعا بعد الصحابة والتابعين وما على الناس من اصطلاح أتى به عبد القاهر واقتفاه السكاكى ولا يقوم لهما فى كثير من المقامات دليل وعلم التفسير إنما يتلقى من الأخبار». ويعقب السيوطى على ذلك فيقول : «لم يتوارد البلقينى والزمخشرى على محل واحد وليس الزمخشرى لانحصار تلقى التفسير عن الأحاديث والآثار بجاحد وإنما مقصوده أن القدر الزائد على التفسير من استخراج محاسن الفقر ولطائف المعانى التى تستعمل فيها الفكر وبيان ما فى القرآن من الأساليب لا يتهيأ إلا لمن برع فى هذين العلمين لأن لكل نوع أصولا وقواعد لا يدرك فن بقواعد فن آخر والفقيه والمتكلم بمعزل عن أسرار البلاغة وكذا النحوى واللغوى وقد كان الصحابة يعرفون هذا المغزى بالسليقة فكانوا يعرفون بالطبع وجوه بلاغته كما كانوا يعرفون وجوه إعرابه ولم يحتاجوا إلى بيان النوعين فى ذلك لأنه لم يكن يجهلهما أحد من أصحابه فلما ذهب أرباب السليقة وضع لكل من الإعراب والبلاغة قواعد يدرك بها ما أدركه الأولون بالطبع فكان حكم علم المعانى والبيان كحكم النحو»[1] ويقول البلقينى أيضاً : استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش[2] .

---

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة ص ١٤٧٥.

(٢) الإتقان للسيوطى جـ ٢ ص ١٩١.

فالبلقينى مع اعترافه ببراعة الزمخشرى البلاغية غير أنه لا يعتبر علم البلاغة ويرى أن الزمخشرى قد أخفى اعتزالياته فى تفسيره بما يحتاج معه إلى فطنة فى الوقوف عليه .

وهذا معين الدين الأيجى الصفوى (ت ٩٠٥هـ) نجده ينقد تفسير الكشاف فى كتابه « جوامع التبيان فى التفسير » . فيذكر أن ما يحتويه أكثر التفاسير يرى فى هذا التفسير مع معان نفيسة صحيحة لم توجد فى كثير منها . وكثيراً تجد الزمخشرى ومن يحذو حذوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول والصحابة لعدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوها بآخر الأمر بصيغة التمريض لكن المسلك فى تفسيرنا هذا الاعتماد على المعانى الثابتة عمن أنزل عليه الكتاب وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتتبع[1] . فمعين الدين مأخذه على الزمخشرى أنه فى تفسيره ذو منهج عقلى أكثر منه متوسل بالنقل فى التفسير .

وفى الكشاف يقول شاعر أهل السنة ناقداً اعتزال الزمخشرى واستنصاره بالحديث الضعيف وعباراته الجافية فى أئمة المسلمين :

عليك بتفسير القرآن ودرسه ... ينيلك صفواً من معانيه رائقا
ولا تعدُ عن كشاف شيخ زمخشر ... وكاشف به بغى الكرامات خارقا
فكشَّف بالكشاف لا خاب سعيهُ ... مغطَّى خبيات تبدتْ حقائقا
لقد خاض بحراً ثم أبدى جواهراً ... ولولا اغتيال الشيخ قد كان غارقا
ولكنهُ فيه مجالٌ لناقد ... وزَلاتُ سوءٍ قد أخذن المخانقا
فيثبت موضوع الحديث تعصُّباً ... لمذهب سوءٍ فيه أصبح مارقا
ويشتم أعلامَ الأئمة ضلَّة ... ولا سيما أنْ أولجوه المضائقا
لئن لم تداركهُ من الله رحمةٌ ... لسوف يُرى للكافرين مرافقا[2]

وبعد فإن الناقدين من أهل المغرب — إلا البلقينى — مجمعون على أن لتفسير

(١) معجم سركيس ج ١ ص ٥٠٠ و ٥٠١ .
(٢) كشف الظنون ص ١٤٨٤ ج ١ .

الكشاف مزية على سائر التفاسير تلك هى بحثه الجمالى فى إعجاز القرآن وإن أخذوا عليه أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة . ويأخذون عليه كذلك أنه ينحرف بمعنى الآى ويورد ضعاف الأحاديث نصرة لمذهبه وتعصباً . ويحملون عليه لإساءته الأدب فى حق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحق أهل السنة . كما يطعنون فى استشهاده بأبيات الشعر — بصرف النظر عن موضعها — فى تفسير غريب القرآن وتصحيح القراءات فيه وأنه يتخذ من القراءات أساساً للتفسير .

أما أهل المشرق أو الأعاجم فقد اتخذوا — كما يقول تاج الدين السبكى — كتاب الكشاف موضوعاً لدراستهم لأن الاعتزال كما عرضنا لذلك قبل كان قد لجأ هناك بفلوله الباقية وكانت كتب المعتزلة الهائلة فى التفسير كلها قد ضاعت حتى إن علماء المعتزلة فى القرن السادس ألحوا على الزمخشرى أن يؤلف لهم مؤلفاً فى التفسير فأجابهم إلى ما أرادوا وكان الكشاف . ثم لأن الزمخشرى كان آخر مفسرى المعتزلة الأعلام الذين جاد بهم الزمن والذين سمعنا عنهم فى إقليم المشرق فلم يسد غيره بعده مسده . وأيضاً لأن الكشاف يمثل قمة نضج الزمخشرى العلمى وكلما نضج الأثر العلمى كلما كان شغل الناس وحديثهم وهكذا كان الكشاف بين أهل المشرق بل المغرب أيضاً . ثم لأن الزمخشرى موطنه المشرق فطبيعى أن تنفق تآليفه العلمية بين أهل موطنه وهكذا نرى أن العصبية المذهبية للاعتزال ثم العصبية الإقليمية كانتا الدافع إلى ذيوع اسم الكتاب بين المشارقة هذا إلى ما لصاحب الكشاف من منزلة علمية سجلتها له تآليفه وقررها العلماء ممن اجتمعوا به أو ترجموا له وإلى نضج تفسيره العلمى .

* * *

ولقد كان كشاف الزمخشرى مثار نشاط واسع المدى ينحصر فى مناقشات وحواش وتقريرات تدور حوله منذ القرن السابع حتى اليوم . وهنا نقدم دليلا بين يدى البحث باستعراض أصحاب تلك الهوامش والتقريرات كما استطعنا

أن نلم بهم وواتت المراجع . والحق أن هذه المؤلفات كلها مظهر لحيوية الكشاف .

١ — فمن كتب على تفسير الزمخشرى الإمام أحمد بن منير المالكى الإسكندرى (ت ٦٨٣ هـ) كتابه الانتصاف بين فيه ما تضمنه من الاعتزال وناقشه فى أعاريب وربما أطال فى نقل كلام الزمخشرى من غير كلام عليه إعجاباً به .

ولعلم الدين العراقى (ت ٧٠٤ هـ) كتاب سماه الإنصاف جعله حكماً بين الكشاف والانتصاف . وله أيضاً الانتصار للزمخشرى من ابن المنير[١] .

وكتب قطب الدين الشيرازى (ت ٧١٠ هـ) حاشية فى مجلدين لطيفين على الكشاف[٢] .

وصنف أبو على عمر السكونى المغربى (ت ٧١٧ هـ) كتاب التمييز لما أودعه الزمخشرى من الاعتزالات فى تفسير الكتاب العزيز تكلم فيه فى الإمام فخر الدين وغيره بما لا يعاب به عالم كما ذكره السبكى[٣] .

ومن حواشى الكشاف حاشية شرف الدين الطيبى (ت ٧٤٣ هـ) فى ستة مجلدات سماها « فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب »[٤] .

وأكثر الإمام أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) فى بحره من مناقشة الزمخشرى فى الإعراب . وتلاه تلميذه المشهور بالسمين والبرهان السفاقسى فى إعرابيهما . ولعلى أفندى شلبى الشهير بقنالى زاده رسالة تتعلق بأجوبة السمين على اعتراضات شيخه أبى حيان على مواضع من الكشاف وهى خط بدار الكتب المصرية .

وكتب عمر الفارسى القزوينى (ت ٧٤٥ هـ) حاشية فى مجلد[٥] .

وكتب حاشية على الكشاف أحمد الجاربردى (ت ٧٤٦ هـ) يوجد منها

---

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة ص ١٥٣ ج ١ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٣) مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٤) مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٥) بدار الكتب المصرية مخطوطة له اسمها تلخيص الكشاف وتحفة الكشاف فى أربعة مجلدات وهى ٢ و ٣ و ٤ و ٥ .

بدار الكتب المصرية الجزء الثانى ويبتدئ من سورة آل عمران وينتهى إلى آخر سورة الكهف .

ولخص الشيخ تاج الدين أحمد بن مكتوم (ت ٧٤٩ هـ) مناقشات شيخه أبى حيان مع ابن عطية والزمخشرى فى تأليف مفرد سماه الدر اللقيط من البحر المحيط .

والعلامة عماد الدين المعروف بالفاضل اليمنى (ت ٧٥٠ هـ) كتب حاشية فى مجلدين سماها درر الأصداف فى حل عقد الكشاف [١] وله حاشية أخرى ذكر فيها أنه لما وقف على حاشية الطيبى ووجد مذكوراً فيها ما ذكره صاحب الانتصاف وغيرهما أراد أن يجمع بين حاشية الطيبى ودرر الأصداف وسماها تحفة الأشراف فى كشف غوامض الكشاف[٢] .

واختصر جمال الدين عبد الله (ت ٧٦٢ هـ) الانتصاف من الكشاف لابن المنير وحذف منه ما وقعت الإطالة به من نقل كلام الزمخشرى على وجهه من غير كلام عليه إعجاباً به واستحساناً له وما قابل به الزمخشرى فى سبه أهل السنة بمثلها واقتصر جمال الدين على العقيدة الصحيحة .

وحاشية لقطب الدين التحتانى الرازى (ت ٧٦٦ هـ) وعليها اعتراضات أوردها جمال الدين محمد بن محمد الأقسرايى وعليه محاكمات لعبد الكريم ابن عبد الجبار وصل فيها إلى أواخر الزهراوين[٣] وهناك حاشية تامة على الكشاف فى مجلدين للفاضل علاء الدين المعروف ببهلوان ناقش فيها مع القطب الرازى [٤] .

وحاشية للعلامة أكمل الدين البابرتى (ت ٧٨٦ هـ) وصل فيها إلى تمام الزهراوين .

وحاشية لسعد الدين التفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) وهى ملخصة من حاشية الطيبى مع زيادة تعقيد فى العبارة وصل فيها إلى سورة الفتح[٥] .

---

(١) خط بدار الكتب المصرية .
(٢) خط بدار الكتب المصرية .
(٣) خط بدار الكتب المصرية .
(٤) خط بدار الكتب المصرية .
(٥) خط بدار الكتب المصرية .

وحاشية للشيخ يوسف التبريزى (ت ٨٠٤ هـ) .

ولشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى (ت ٨٠٥ هـ) حاشية فى ثلاثة مجلدات سماها الكشاف على الكشاف.

وكتب السيد الشريف الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) حاشية وصل فيها إلى أواسط سورة البقرة وهناك حاشية للعلامة محمد بن إبراهيم الرومى الشهير بابن خطيب زاده على حاشية السيد الشريف على الكشاف وهو خط بدار الكتب المصرية .

وشرح خطبة تفسير الكشاف مجد الدين الفيروزابادى (ت ٨١٧ هـ) وسماه قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف ثم كتب ثانياً وسماه « نغبة الرشاف من خطبة الكشاف» [١] .

وللشيخ ولى الدين أبو زرعة العراقى (٨٢٠ هـ) حاشية فى مجلدين لخص فيهما كلام ابن المنير والعلم العراقى وأبى حيان وأجوبة السمين الحلبى والسفاقسى مع زيادة تخريج أحاديثه .

وعلى المولى برهان الدين حيدر الهروى (ت ٨٣٠ هـ) تلميذ السعد حاشية على حاشية السعد أجاب فيها عن اعتراضات السيد .

وكتب يوسف الحلوانى (ت ٨٥٤ هـ) حاشية على الكشاف .

وحاشية للشيخ علاء الدين الشهير بمصنفك [٢] (ت ٨٧١ هـ) .

والمولى علاء الدين المعروف بقوشجى (ت ٨٧٩ هـ) علق على أوائل حاشية السعد .

وكتب المولى علاء الدين الطوسى (ت ٨٨٧ هـ) حاشية .

وحاشية على الكشاف باسم « غاية الأمانى فى تفسير الكلام الربانى»

---

(١) خط بدار الكتب المصرية .

(٢) خط بدار الكتب المصرية .

للمولى أحمد بن إسماعيل الكورانى (ت ٨٩٣ هـ) أورد فيه مؤاخذات كثيرة على العلامتين الزمخشرى والبيضاوى [١] .

وكتب المولى محيي الدين الخطيب (ت ٩٠١ هـ) حاشية على حاشية السيد .

وللمولى شيخ الإسلام بهراه يحيى الهروى المعروف بالحفيد (ت ٩٠٦ هـ) حاشية على حاشية جده سعد الدين وأجاب أيضاً عن اعتراضات السيد وبلغ إلى أواسط سورة البقرة .

والعلامة شمس الدين المعروف بابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) وهو من أحسن تأليفاته وأكثر تعليقاته على السيد .

وحاشية للشيخ خير الدين العطوفى (ت ٩٤٨ هـ) .

وكتب حاشية المولى مهدى الشيرازى (ت ٩٥٦ هـ) .

والمولى أبو السعود العمادى (ت ٩٨٢ هـ) كتب حاشية على سورة الفتح وسماها « معاقد الطراف فى أول تفسير سورة الفتح من الكشاف » .

وحاشية على أوائل الكشاف للمولى صنع الله المفتى (ت ١٠٢١ هـ) .

وحاشية لحامد بن مصطفى قاضى الأحكام الشرعية (ت ١٠٩٨ هـ). بمدينة سلانيك على تفسير سورة الأنعام من كتاب الكشاف للزمخشرى وأنوار التنزيل للبيضاوى [٢] . وهناك غير تلك حواش أخر [٣] .

٢ — وقد اختصر كتاب الكشاف ناس كثيرون منهم :

على الطوسى (ت ٥٦١ هـ) اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع .

---

(١) خط بدار الكتب المصرية .

(٢) خط بدار الكتب المصرية .

(٣) منها مخطوطات بدار الكتب المصرية وهى ا — الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف تأليف الشيخ محمد بن على الداوودى . وفى كشف الظنون ج ١ ص ٤٨ أن هذا الكتاب لابن يوسف الشامى . ب — حاشية الرهاوى على الكشاف إلى آخر سورة آل عمران . جـ — غاية الإتحاف فيما خفى من كلام القاضى والكشاف تأليف الشيخ محمد بن أحمد المغربى المالكى . د — كشف الكشاف وهو حاشية على الكشاف للزمخشرى تأليف الشيخ عمر البهائى الكنانى القزوينى .

هذا وقد علق على بعض مواضع من الكشاف المولى كمال الدين المعروف بقره كمال من علماء الدولة الفاتحية .

والشيخ محمد بن على الأنصارى (ت ٦٦٢ هـ) أزال عنه الاعتزال .

وسيد المختصرات (كتاب أنوار التنزيل) للقاضى العلامة ناصر الدين البيضاوى (ت٦٩٢ هـ) لخصه وأجاد وأزال عنه الاعتزال وحرر واستدرك .

والعلامة قطب الدين الشقار (لعله قطب الدين الشيرازى) لخصه وأزال الاعتزال وسماه (تقريب التفسير) فى مجلد صغير وأتمه سنة ٦٩٨ هـ . وعليه حاشية للأرزنجانى[١] .

واختصر الكشاف أيضاً المولى مجد الدين المدعو بمولانا « زاده الحنفى» (ت ٨٥٩ هـ) .

وكذلك اختصر المولى عبد الأول الشهير بأم ولد (ت ٩٥٠ هـ)[٢] .

٣ — وتوافر آخرون على تخريج أحاديث الكشاف منهم الإمام جمال الدين عبد الله الزيلعى الحنفى (ت ٧٦٢ هـ) ولخص كتابه الحافظ شهاب الدين أبو الفضل بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) فى كتاب سماه « الكاف الشاف فى تحرير أحاديث الكشاف » فى مجلد . واستدرك عليه فى مجلد آخر .

٤ — وشرح أبيات الكشاف جماعة منهم محب الدين أفندى وشرحه موجود بين أيدينا .

٥ — وممن أفرد فى نقد تفسير الكشاف تأليفاً الشيخ تقى الدين السبكى (ت ٧٥٦ هـ) وسماه سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف .

٦ — كما صار الكشاف مستقى يرده المفسرون إذ يبغون التفسير والتأليف فيه : فالإمام أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى له كتاب

---

(١) بدار الكتب المصرية مخطوطة باسم « التقريب فى التفسير) وهو مختصر الكشاف للزمخشرى تأليف الشيخ قطب الدين محمد بن سعيد بن مسعود السيرافى . فلعل (الشيرازى) تصحيف (السيرافى) ؟

(٢) هناك ملخص آخر مخطوط للكشاف بدار الكتب المصرية باسم (إعراب القرآن) لم يعلم مؤلفه .

« الإنصاف فى الجمع بين الثعلبى والكشاف» وهو تفسير كبير جمع فيه بين تفسير الثعلبى والكشاف .

وكتاب « مختصر الراشف من زلال الكاشف من التفاسير » للشيخ الإمام بدر الدين محمد المقرى الحلبى المعروف بالقاذفى (ت ٧٠٥ هـ) اختصره من الكشاف مع المحاكمات من فوائد أبى العباس أحمد المهدوى ومن كتاب أبى الليث السمرقندى ومن الكشف والبيان للثعلبى .

وتفسير العماد الكندى (ت ٧٢٠ هـ) قاضى إسكندرية النحوى المعنون بـ « كفيل بمعانى التنزيل » وهو تفسير ضخم فى ثلاثة وعشرين مجلداً كباراً وطريقته فيه أن يتلو الآية أو الآيات فإذا فرغ منها قال : قال الزمخشرى ويسوق كلامه فإذا انتهى أتبعه بما عليه من مناقشة وما يحتاج إليه من توجيه وما يكون هناك من الزيادات الواقعة فى غير الكشاف من التفاسير وأكثر نظره فيه النحو فإنه كان متقدماً فى معرفته .

ويقول نظام الدين القمى النيسابورى (انتهى من تفسيره سنة ٧٢٨ هـ) فى مقدمة تفسيره : « وقد تضمن كتابى هذا حاصل التفسير الكبير للرازى وجامع لأكثر التفاسير وجل كتاب الكشاف . . . » .

وتفسير الأصبهانى المشهور وهو العلامة شمس الدين أبو الثناء الشافعى (ت ٧٤٩ هـ) تفسير كبير بالقول فى مجلدات جمع فيه بين الكشاف ومفاتيح الغيب للإمام الرازى .

ولشمس الدين بن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) تفسير سورة الملك . وفيه تأليف فارسى منتخب من التيسير والكشاف والكواشى لكنه مع الفاتحة .

ولأبى السعود العمادى (ت ٩٨٢ هـ) « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» ويعرف بتفسير أبى السعود . جمع فيه بين درر الكشاف وغرر أنوار التنزيل وأضاف إلى ذلك ما لقيه فى تصانيف الكتب من جواهر الحقائق وللشيخ الفاضل السيد محمد الخوشابى المعروف بالوافى أفندى (ت ١٠٩٦ هـ)

مؤلف فى قصص الأنبياء ذكر فيه من تفسير البيضاوى وحواشيه والكشاف وحواشيه .

وهناك تفسيران نجهل تاريخ وفاة صاحبيهما أحدهما « مجمع الألطاف فى الجمع بين لطائف البسيط والكشاف» لأبى الفضائل أحمد التبريزى وهو فى خمسة مجلدات . وثانيهما «فرائد التفسير» لأبى المحامد فصيح الدين المابرنابازى اختصر فيه الكشاف وزيادات بحثية نحوية وكلامية .

وقد تعقب الإمام المشهور فى فلسفة الدين والكلام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) فى تفسيره مفاتيح الغيب أهم الاستنتاجات لمدرسة المعتزلة — وبالطبع من بينها استنتاجات صاحب الكشاف — وردها واقعة بعد أخرى[١] فالرازى إذن وهو سنى ينافح عن رأيه ضد المعتزلة ومن بينهم الزمخشرى فى ميدان التفسير .

٧ — كذلك أثار (الكشاف) عالماً بلاغياً فدفعه إلى أن يخرج إلى عالم التأليف مؤلفاً فى علمى المعانى والبيان . ذلكم هو الإمام يحيى بن حمزة العلوى اليمنى (ت ٧٤٩ هـ) صاحب كتاب الطراز الذى يقرر فى مقدمة كتابه : أن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا على فى قراءة كتاب (الكشاف) تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشرى فإنه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسراره وأغواره ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير لأنى لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمى المعانى والبيان سواه فسألنى بعضهم أن أملى فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق فالتهذيب يرجع إلى اللفظ والتحقيق يرجع إلى المعانى إذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثانى[٢] .

---

(١) المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن لجولد تسيهر ص ١٢٢ و ١٢٣ ط العلوم بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ .

(٢) الطراز ليحيى بن حمزة العلوى اليمنى ج ١ ص ٥ .

هذا ولا يزال كتاب الزمخشرى إلى اليوم المبحث التفسيرى الوحيد – فيما نعلم من قديم – الذى يعرض لبلاغة القرآن على نطاق عملى واسع كما أنه لا يزال مستقى المفسر إذ يفسر . وحديثاً نجد منهجاً فى التفسير الأدبى للقرآن أصّله أستاذنا أمين الخولى[١] وطبقته من بعد بنجاح الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى تفسيرها البيانى للقرآن[٢] .

---

(١) انظر مادة تفسير بقلم أمين الخولى فى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة .

(٢) طبعته دار المعارف طبعتين .

خاتمة

والآن لنجمع شتات البحث. رأينا أن الزمخشرى كان ابن بيئته ؛ البيئة الدينية المعتزلية وهو كأحد المعتزلة اعتنق كما اعتنقوا مبادئ فلسفية تعصبوا لها ونسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته فالاعتزال عندهم هو الإسلام خالصاً وقد جعل الزمخشرى من تفسيره الكشاف بعد إذ ضاعت ثروة المعتزلة فى التفسير وفى وقت أفل فيه نجم المعتزلة إلا فى المشرق — جعل من تفسيره ميداناً للدعوة إلى مذهبه والمظاهرة له ثم هو بعد مرآة لعلم صاحبه وفى هذا الموجز نفرد ما توصلنا إليه من نتائج فى البحث وسنقسم هذا الموجز قسمين نخصص أولهما لمنهج الزمخشرى فى التفسير ونقارنه بغيره من مناهج التفسير وثانيهما لمبحثه فى بيان إعجاز القرآن .

منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن :

١ — الزمخشرى فى الكشاف مفسر معتزلى مؤمن بالعقل مقدس له يجعله آلته إذ يفسر :

(ا) فنراه يقف أمام النص وقفة عقلية يكد فيها ذهنه مستنبطاً المعانى منقباً عنها ويجىء لمعنى الآية بأكثر من وجه تفسيرى .

(ب) وهو يجول بعقله فى النص القرآنى باحثاً عن تآلف معانى ألفاظ الآية الواحدة وتآخيها .

(حـ) يتعدى الزمخشرى العناية بنسق الآية المعنوى إلى نسق القرآن المعنوى كله فالمعانى القرآنية كل متناسق متجاوب .

(د) جارى الزمخشرى الفقهاء فى استنباط بعض الأحكام من القرآن ليدلل بها على آرائه إن فى العلم أو فى الدين وذلك حين تقليبه النص على وجوهه المعنوية المختلفة .

٢ – يقف الزمخشرى أمام ظاهر بعض الآى التى يناصر معناها القريب المكشوف آراء المعتزلة ومبادئها فيجعلها محكمة وتلك التى يخالف ظاهرها أصول الاعتزال يجعلها متشابهة ثم يحاول بفنون محاولات أن يلين معنى تلك الآى المتشابهة لتطوع للاعتزال وتنصر مبادئه وهو بهذا يدير معانى الآى القرآنية كلها حول الاعتزال ومسائله :

(ا) فيستخدم ثقافته المنطقية ورياضته العقلية فى تشقيق معنى الآية إلى أكثر من وجه تفسيرى والكل بعد متعاون على خدمة الاعتزال .

(ب) يستجلب القراءة التى يعين ظاهر معناها الاعتزال ويخضع تفسير الآى المتشابه لمعناها .

(ح) ذلل اللغة للاعتزال فحمل الألفاظ ما لا تحتمله من معان لم تعرفها العرب حين نزل القرآن فيهم ؛ لينصر الاعتزال .

(د) استعان الزمخشرى حذقه فى علمى المعانى والبيان فأخضع نظم الآى المتشابة للمعنى الاعتزالى بأن عد تلك الآيات من باب المجاز أو الاتساع اللغوى فى التعبير .

(هـ) فى تلك الآى – التى يعدها من باب المتشابه – سخر الزمخشرى النحو خادماً للرأى الاعتزالى وتعسف فى إعراب الآى وتمحل .

(و) استنصر بأضعف الأحاديث الموضوعة لنصرة مذهبه فيما يفسر من الآيات وإذا ما عارض الحديث أصلا من أصول الاعتزال شك فيه ثم أوله – إن افترض صحته – ودلل لتأويله بآى محكمة من القرآن .

٣ – فى الآى التى لا يمس معناها الاعتزال ولا مبادئه نرى الزمخشرى يسير فى تفسيرها على نهج المفسرين الأثريين النقليين :

(ا) فيجىء بالأسباب المعينة على تجلية معنى النص وتفسيره فيورد أسباب النزول والناسخ والمنسوخ إما عارضاً فحسب أو ناقداً .

(ب) ويفسر القرآن بالقرآن تفسيراً ظاهرياً قريباً أو يفسره بأحاديث الرسول

والصحابة وهو قل أن يقف من تلك التفاسير الأثرية موقف الناقد الفاحص .

(حـ) فى التفسير القصصى النقلى تسمح الزمخشرى بكل نقل أو رواية ولو كانت أشبه بالأسطورة والخيال ما دامت لا تمس عقيدة أو تضار رأياً اعتزالياً أو تطعن فى عصمة نبى وإلا فإنه يزيفه ويأباه .

٤ — (ا) يعرض الزمخشرى للفظ القرآنى فى الآى المحكمة عرضاً عرفته العرب فى معانى منطقها .

(ب) ويفسر اللفظ القرآنى بسماعياته من العرب .

(حـ) وسع استشهاده اللغوى فاستشهد بالمحدثين كأبى تمام .

(د) حاول لمح الأصل الحسى للفظ القرآنى .

(هـ) فرق فى معالجته للفظ القرآنى بين المترادفات تفرقة معنوية دقيقة .

(و) حاول تذوق المعنى الذى يلقيه الجرس الصوتى للفظة القرآنية .

٥ — والزمخشرى النحوى حين يعالج إعراب الآى التى لا تدخل حيز الجدل الكلامى الاعتزالى :

(ا) فإنه يجعل همه المعنى حيثما كان هناك تقدير إعرابى فرعايته للمعنى أولا وقبل رعايته للصناعة النحوية .

(ب) تمتد رعايته نسق المعنى فى الآية الواحدة إلى نسقه فى القرآن كله فيفضل الوجه النحوى الذى يتفق والمعنى القرآنى .

(حـ) استغل النحو فى الدفاع عن القرآن من طعن الطاعنين فيه .

٦ — والزمخشرى يستعين بالقراءة على التفسير :

(ا) فهو يوردها ليقوى بها تفسيره ويعضده .

(ب) يبين الفرق اللغوى بين القراءات وما يستتبع ذلك من اختلاف معنى الآى .

(حـ) يستبطن معنى قراءة بعينها مجيلا عقله وفكره فى معانيها المحتملة كاشفاً بذلك عما وراء آى القرآن من ثروة معان .

(د) القراءة المفضلة عنده تلك التى تجرى والنسق المعنوى فى مضمار والتى تحفظ على الأسلوب القرآنى جماله وقوة معناه .

(هـ) وهو يرى أن ضبط القراءة بحاجة إلى أهل النحو فكل قراءة لا تضطرد والقاعدة النحوية فإنه يزيفها ويرفضها .

٧ — والزمخشرى حين يعرض مفسراً لآى التشريع فى القرآن :

(ا) نراه يستعرض عندها الآراء الفقهية إما عارضاً أو ناقداً .

(ب) يثير نقاشاً فقهياً أمام الآية يخدم تفسيرها ويلقى الضوء على معناها .

(حـ) يحلل تلك الآى تحليلا فقهياً .

(د) يكشف عن الحكمة فى التشريع الوارد بالآية مقرباً بذلك معنى الآية إلى العقول ومجلياً لتفسيرها .

٨ — والزمخشرى أديب ذواقة نلمح ذلك من ثنايا تفسيره :

(ا) فهو يحيا بحسه وروحه فى النص القرآنى ثم يعود إلينا وقد لمح معانى نفسية استشفها من باطن النص من طول ألفه له .

(ب) وهو يجىء بالشعر المضمن معنى الآى الذى يفسر .

(حـ) وثقافته الأدبية تدفعه إلى أن يستطرد استطرادات قد تخدم تفسير الآية أولا .

٩ — والزمخشرى يرى أن تفسير القرآن درس عملى للتربية الروحية :

(ا) فهو يستخرج منه الدروس والعظات مفيداً من تجاربه فى الحياة .

(ب) أو ناقداً للأحوال الاجتماعية فى عصره .

(حـ) وقد يدفعه حماسه للعظة إلى أن يستشهد بحديث ظاهره موهم بالتجسيم .

وهذا المنهج فى التفسير بنقاطه تلك نحب أن نضعه فى إطار وبعض المناهج الأخرى فى التفسير لنستبين مدى التقارب والتباعد بينها . وليكن أولاها :

المنهج اللغوى :

ويمثل هذا المنهج -فى رأينا - أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢٠٩ هـ) وهو يرسم منهجه فى تفسير القرآن فى مقدمة كتابه « مجاز القرآن» إذ يقول : قالوا إنما أنزل (بلسان عربى مبين) [١٩٥ الشعراء] ومصداق ذلك فى آية من القرآن وفى آية أخرى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) [٤ إبراهيم] فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن واستغنوا بعملهم عن المسائلة عن معانيه وعما فيه مما فى كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص وفى القرآن مثل ما فى الكلام العربى من وجوه الإعراب والغريب والمعانى . . . [١] فهو إذن يبغى تفسير القرآن بعرض أسلوبه ومعانيه على أسلوب ومعانى منطق العرب وسينهج فى ذلك نهجاً صارماً لن يحيد عنه . ظلان يقابلهما قارئ كتاب المجاز أسلوب القرآن وأسلوب العرب .

١ - نراه يبحث فى البيان القرآنى يقول فى الآية : (أتجعل فيها من يُفْسِدُ فيها) [٣٠ البقرة] جاءت على لفظ الاستفهام والملائكة لم تستفهم ربها وقد قال تبارك وتعالى: إنى جاعل؛ ولكن معناها معنى الإيجاب أى أنك ستفعل وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب : ألست الفاعل كذا . ليس باستفهام ولكن تقرير [٢] .

٢ - وحين يعرض للنحو القرآنى نراه لا يعرض للإعراب لذات الإعراب ولكن من ناحية صلته بالبيان القرآنى مستنصراً على ذلك بالشاهد من كلام العرب . فعند الآية : (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله) [١٦٢ النساء]

---

(١) ورقة ٣ من مجاز أبى عبيدة . (خط) وصححت بمقابلتها بورقة ٨ من نفس المخطوطة .
(٢) ورقة ١٣ من مجاز أبى عبيدة .

يقول : العرب تخرج من الرفع إذا كثر الكلام إلى النصب ثم تعود بعد إلى رفع قال خرنق :

لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر [1]

٣ — وهو لا يلمح فى القراءات إلا الصورة اللغوية فيرى أن اختلاف القراءات انعكاس لاختلاف اللغات ومن ثم فهى صور من البيان العربى ولا يقف عند تلك القراءات إلا ليفسر اللفظة المستدعية للقراءات تفسيراً لغوياً :

(ا) فهو يعرض للقراءات المختلفة فى اللفظة والمعنى باق كما هو : يقول أبو عبيدة فى مقدمة المجاز :

« ومجاز ما قرأته الأئمة بلغاتها فجاء لفظه على وجهين وأكثر من ذلك : قرأ أهل المدينة (فبم تبشّرون)[٥٤ الحجر] بغير نون المضاف بلغتهم. وقال أبو عمرو لا يضاف يبشرون إلا بنون للكناية تبشرونني » .

(ب) ويعرض للقراءة الواحدة ومعناها بحسب اللغات مختلف : يقول « ومن مجاز ما جاءت له معانى غير واحد مختلفة فتأولته الأئمة بلغاتها فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك قال : (وغدوا على حَرْدٍ قادرين) [٢٥ القلم] ففسر على ثلاثة أوجه : قال بعضهم على قصد . وقال بعضهم على منع . وقال آخرون على غضب وحقد» .

(حـ) وعرض للقراءات المختلفة ذات المعانى المختلفة أيضاً . يقول : ومن مجاز ما جاء على لفظين فذلك لاختلاف قراءات الأئمة فجاء تأويله شتى فقرأ بعضهم قوله : (إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا) [٦ الحجرات] وقرأها آخرون فتثبتوا[2] .

٤ — وفى معالجاته اللغوية للألفاظ القرآنية نراه يعرضها على ألفاظ العرب ومعانى منطقها ويفسرها بها ولا يحمل اللفظة معانى جاء بها تطور الزمن يقول

---

(١) ورقة ٣٩ من مجاز أبى عبيدة .
(٢) ورقة ٦ من مجاز أبى عبيدة .

فى الآية : (فهم يُوزَعون) [١٧ النمل] أى يدفعون فيستحث آخرهم ويحبس أولهم . وفى آية أخرى: (أوزعنى أن أشكر نعمتك) [١٩ النمل] مجازه شددنى إليه ومنه قولهم وزعنى الحلم عن السفاه أى منعنى ومنه قولهم :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألمَّا تَصْحُ والشيب وازع

ومنه الوزعة الذين يدفعون الخصوم والناس عن القضاة والأمراء[١] .

وأبو عبيدة ندر أن يستشهد بحديث للرسول أو ينقل لصحابى والطبرى ينعته بأنه ضعيف المعرفة بتأويل أهل التأويل قليل الرواية لأقوال السلف من أهل التفسير[٢] فى الوقت الذى نجد معاصراً له من رجال النحو واللغة وهو الفراء يحرص على أن يثبت بجانب التفسير اللغوى تفسير المفسرين النقليين وإن كان المقدم عنده التفسير اللغوى يقول الفراء فى الآية: (وزُخْرفاً) . [٣٥ الزخرف] وهو الذهب وجاء فى التفسير ونجعلها لهم من فضة ومن زخرف[٣] ويقول الفراء أيضاً فى الآية : (وحاق بهم . .) [٢٦ الأحقاف] وهو فى كلام العرب عاد عليهم وجاء فى التفسير أحاط بهم ونزل بهم[٤] .

وبعد الفراء نرى الزجاج وإن مال إلى المنهج اللغوى إلا أنه حريص على إثبات التفسير المروى ، يقول الزجاج عند قوله جل وعز : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) [٥٢ القلم] . . وهذه الآية تحتاج إلى فضل إبانة فى اللغة فأما ما روى فى التفسير فروى أن الرجل من العرب كان إذا أراد أن يعتان شيئاً أى يصيبه بالعين تجوع ثلاثة أيام ثم يقول للذى يريد أن يعتانه لا أرى كاليوم إبلا وشاء وما أراد ، المعنى لم أر كإبل أراها اليوم إبلا فكان يصيبه بالعين . فأما مذهب أهل اللغة فالتأويل أنهم من شدة إبغاضهم لك وعدواتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك . وهذا مستعمل فى الكلام

---

(١) ورقة ١٢٧ من مجاز أبى عبيدة .
(٢) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٤٤ و ٤٥ .
(٣) معانى القرآن للفراء ورقة ٢٤ مخطوط .
(٤) معانى القرآن للفراء ورقة ٣٦ .

يقول القائل نظر إلىّ فلان يكاد يصرعنى به ونظراً يكاد يأكلنى منه وتأويله كله أنه نظر إلىّ نظراً لو أمكنه أكلنى أو أن يصرعنى لفعل وهذا واضح والله أعلم[١] . وكان لمنهج أبى عبيدة اللغوى هذا دون نظر إلى مأثور أو منقول كان له أثر مضاد عند الطبرى إذ نزع الطبرى فى تفسيره منزعاً يخالف أبا عبيدة ويضاده — كما سيأتى — وقد أفسح الطبرى فى كتابه مواضع كثيرة لنقد أبى عبيدة فى مجازه ومهاجمته[٢] .

على كل حال فأبو عبيدة يمثل المنهج اللغوى الخالص الذى يعرض لغة القرآن وأسلوبه على لغة العرب وأسلوبها دون رعاية لتفسير أثرى أو نقلى وإذا كان تفسير الزمخشرى تفسيراً عقلياً يكد الذهن فى معانى الآى ويشقق تلك المعانى تشقيقاً فإن المنهج اللغوى يتناول المعنى القرآنى من الظاهر تناولا خفيفاً ويلمسه لمساً رفيقاً فى دائرة البيان العربى . وإذا كان منهج الزمخشرى فى تناول معنى الآى المتصلة بآراء المعتزلة هو تحميل اللفظة القرآنية من المعانى ما لا تحتمله فإن المنهج اللغوى حريص على أن يعطى اللفظة القرآنية المعنى الذى لها والذى عرفته العرب فى منطق كلامها حين نزل القرآن فيهم مستدلا بالشعر أو النثر أو ما أثر عن العرب من تعبير . وهذا لا يعنى أن الزمخشرى لا يتبع هذا المنهج اللغوى فى تفسيره فالرجل لغوى متبع لمذاهب اللغويين فى تناولها للنصوص ومعالجة تفسيرها إلا أن حديثنا فى الطابع الغلاب على تفسيره وهو الطابع العقلى الكلامى .

وثانى المناهج هو :

المنهج التأويلى الباطنى :

لقد قدر للتفسير أن يخضع لعاملين قويين أحدهما العقل الذى يجمح ولا يخضع لعاطفة وهو سمة تفاسير العقليين المتكلمين وثانى العوامل العاطفة التى لا تخضع لعقل ولا منطق وهى طابع التفسير الصوفى . اتخذ الصوفية

---

(١) مخطوط معانى القرآن للزجاج ورقتا ١٦١ و ١٦٢ .

(٢) مثلا تفسير الطبرى جـ ١ ص ٦٢ و ٦٣ و ١٠٩ . . . إلخ

الإدراك الذوقى الذى لا أثر للعقل فيه آلة المعرفة واستطاعوا أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يلائم أغراضهم على أن كل آية بل كل كلمة فى القرآن تخفى وراءها معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعانى فى قلوبهم فى أوقات وجدهم[١] ورأى الصوفية أن معانى القرآن لا حصر لها وهى تنكشف لكل صوفى بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحى ولهذا لم تتألف من الصوفية فرقة خاصة ولا كان لهم مذهب محدود يصح أن نسميه مذهب التصوف . بل إن التعريفات العديدة التى وضعت للفظ التصوف نفسه لتدل على تعدد وجوه النظر فى فهم معناه[٢] .

ومحاولتنا هنا هى تناول تفسير من أقدم التفاسير الصوفية وهو تفسير التسترى (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ) ونتخذه أنموذجاً لهذا المنهج التأويلى الباطنى الذى يفيض من فهمه الروحى وكشفه الوجدانى معانى على تفسير القرآن يشرح التسترى فى تفسيره منهج الصوفية فى التفسير إذ يقول : . . . . ما من آية فى القرآن إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع ؛ فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد حلالها وحرامها والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقهاً من الله عز وجل ؛ فالعلم الظاهر علم عام والفهم لباطنه والمراد به خاص[٣] أن الله تعالى ما استولى وليّاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا علمه القرآن إما ظاهراً وإما باطناً . قيل له: « أى لسهل التسترى» إن الظاهر نعرفه فالباطن ما هو ؟ قال : فهمه وإن الفهم هو المراد . قال أبو بكر السجزى : سمع منى هذه الحكاية الجنيد فقال سهل: كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمى اللسان نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب وهو لا يحفظ القرآن وتلك دلالة ولايته . .[٤] ولو أن عبداً أعطى لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية علم الله منه

---

(١) فى التصوف الإسلامى لنيكولسون تعريب أبو العلا عفيفى ص ٧٦ .

(٢) فى التصوف الإسلامى لنيكولسون تعريب أبو العلا عفيفى ص ٧٦ .

(٣) تفسير التسترى ص ٣ طبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ .

(٤) تفسير التسترى ص ٧ .

لأنه كلامه القديم وكلامه صفته ولا نهاية لصفاته كما لا نهاية له وإنما يفهم على قدر ما يفتح الله على قلوب أوليائه من فهم كلامه[١].

والتستري يسير في تفسيره على هذا المنهج فيقدم تفسيرين أحدهما تفسير ظاهري عام والثاني تفسير باطني خاص فيقول في الآية: (لتنذر أم القرى ومن حولها) [٧ الشورى] ظاهرها مكة وباطنها القلب ومن حوله الجوارح فأنذرهم لكي يحفظوا قلوبهم وجوارحهم عن لذة المعاصي واتباع الشهوات[٢] ويقول في الآية مفسراً بتفسير باطني خاص فحسب: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار) [١٤٨ الأعراف] عجل كل إنسان ما أقبل عليه فأعرض به عن الله من أهل وولد ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس[٣].

ذلك إذن هو منهج الصوفية منهج سابح في الوجدان ينظر إلى القرآن من خلال العاطفة الجامحة وتلك المعاني التي يفيضونها على القرآن معان صحيحة ولكن القرآن لا يدل عليها. وإن لم تسلم أقوالهم من باطل كما يقول ابن تيمية[٤].

وهذا المنهج التأويلي الباطني يتفق ومنهج الزمخشري العقلي في أن كليهما لا يتلبث عند ظاهر النصوص بل يستبطنان معانيها ويتدبرانها وإن اختلف تناولهما للنص واستشفاف معناه فالصوفي يتناوله بذوقه الروحي والزمخشري المعتزلي يتناوله بعقله المنطقي الكلامي. ثم كلاهما أيضاً يدير معاني الآي على آراء وأفكار اعتقدها وآمن بها فالصوفي له آراؤه ونظرياته وأفكاره والكلامي له أصوله ومبادئه ومسائله وتلك الأصول والآراء كلها قد استدلوا لها بالقرآن وأيدوها بنصوصه وآيه.

---

(١) تفسير التستري ص ١٩١.

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٠.

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٤.

وثالث المناهج .

المنهج القصصى :

١ ــ حاول هذا المنهج أن يعرف تفصيل كل شيء فى القرآن فانطلق بخياله إلى بدء الخليقة ليفسر الظواهر الطبيعية . لم الرعد ؟ نظر سبحانه وتعالى إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهى دخان)[١] [١١ فصلت] وانطلق الخيال القصصى ليعرف صفة خلق حواء[٢] وصفة نفخ الروح [٣] وأراد الخيال القصصى ليحيط خبراً بما وراء هذا العالم من أسرار الله الملائكة الجن . . فيروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : فى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى فى البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى : (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)[٤] [٢١ الحجر] وعرض هذا الخيال لرؤية موسى لله وكيفية التجلى[٥] وأثر الرؤية فى بصر موسى[٦] وحاول المنهج القصصى أن يعلل للتشريع الإسلامى تعليلا قصصيًّا . تقول رواية القصصيين عن تعليم جبريل لآدم الزراعة ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الأنثيين [٧] وطمع المنهج القصصى أن يدرك معرفة كل شيء فى القرآن أفاد أولا ؛ فعلل لتسمية الأنبياء وقراهم تعليلا قصصيًّا ؛ فمثلا إسرائيل سمى

---

(١) العرائس للثعلبى ص ٤ .

(٢) العرائس للثعلبى ص ٣٠ .

(٣) العرائس للثعلبى ص ٢٨ .

(٤) العرائس للثعلبى ص ١٥ .

(٥) العرائس للثعلبى ص ٢٠٨ .

(٦) العرائس للثعلبى ص ٢١٤ و ٢١٥.

(٧) العرائس للثعلبى ص ٣٩ .

كذلك لأنه أول من سرى بالليل [١] وطمع المنهج القصصى أن يعرف ما شجرة المحنة[٢] ؟ وما الأسماء التى علمها الله لآدم[٣]؟ وما موضع قتل هابيل[٤]؟ وعدد الدراهم التى بيع بها يوسف . .[٥] إلخ .

ما موقف الزمخشرى من هذا المنهج القصصى فى التفسير ؟ — لقد كان يتوقع منه — أن يقف من التفسير القصصى للقرآن موقف الناقد ولكنا — على العكس — وجدناه متسامحاً لا يرى بأساً بإيراد أسطورة أو خرافة أو قصة غير مستيقنة ما دامت لا تطعن عصمة نبى أو تخالف رأياً اعتزالياً وبذلك كان موقفه من التفسير القصصى متناقضاً مع منهجه العقلى الذى اتخذه فى التفسير .

٢ — وحين يقبل الناس على الدنيا يغترّون من لذائذها فى بهيمية وحيوانية تكون العظة من الواعظين فتهول لهم فى قصص العقاب الذى ينتظر المسيئين فى الآخرة وتذكرهم بما حدث للسلف من الطاغين وصفة عذابهم ثم تشوق النفس الزاهدة المحرومة فى دنياها إلى ما ينتظرها من نعيم فى الآخرة وهنا تلعب المعادن النفيسة والمغيبات من ملائكة وحيوان وحور و ولدان أدوارها فى المنهج القصصى ففى الأرض الرابعة حجارة الكبريت التى أعدها الله لأهل النار لو أرسلت فيها الجبال الرواسى لانماعت وهى التى قال الله تعالى فيها: (وقودها الناس والحجارة) [٦] [٢٤ البقرة] وقعر الأرض يتجلجل فيه قارون فلا يبلغه إلى يوم القيامة[٧] ويصف سعيد بن جبير نخل الجنة فيقول : « نخل الجنة كربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم . . . إلخ . . »[٨] .

(١) العرائس للثعلبى ص ١٠٩ .
(٢) العرائس للثعلبى ص ٣٠ .
(٣) العرائس للثعلبى ص ٢٩ .
(٤) العرائس ثعلبى ص ٤٦ .
(٥) العرائس للثعلبى ص ١٢١ .
(٦) ، (٧) العرائس للثعلبى ص ٦ و ٨ على الترتيب .
(٨) حلية الأولياء لأبى نعيم جـ ٤ ص ٢٨٧ .

والزمخشرى فى عظته ليس يلتى بالعظات الجافة والنصائح الجامدة أو القصص المتخيلة ولكنه يربى روحيًّا بأن يربط العظة بأحداث الحياة وتجاربه مع الزمن ولذلك فإن عظاته مكتسبة حيوية الواقع متمشية مع منزعه العقلى المنطقى فى التفسير . غير أنه لن يرغب فى الجنة ويتفاءل كالمتفائلين من القصصيين المتخيلين لأن المعتزلة متشائمين بالنسبة لليوم الآخر . فشخصيته الاعتزالية هنا واضحة ظاهرة وهو محذر ميئس أكثر منه مرغباً مبشراً .

وأما رابع المناهج فهو .

منهج التفسير بالمأثور :

ويمثل هذا المنهج الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) الذى قدم لمنهجه بمقدمة علمية تكلم فيها عن وجوه مطالب التفسير كما يراها قال : ونحن قائلون فى البيان عن وجوه مطالب تأويله قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وأنزلنا إليك الذكرَ لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون) [٤٤ النحل] وقال أيضا جل ذكره : (وما أنزلنا عليكَ الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهُدًى ورحمةً لقوم يؤمنون) [٦٤ النحل] وقال : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه أيات محكمات هن أمُّ الكتاب وآخرُ متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويلهُ إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كُلٌّ من عند ربنا وما يذكَّرُ إلا أولو الألباب » [٧ آل عمران] .

فقد تبين ببيان الله جل ذكره :

(١) أن مما أنزل الله فى القرآن على نبيه مالا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه وندبه وإرشاده وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وجدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من إحكام آيه التى لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته . وهذا وجه لا يجوز لأحد

القول فيه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله .

(ب) وأن منه مالا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ فى الصور ونزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه .

(ح) وأن منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن وذلك إقامة إعرابه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها الموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها فإن ذلك لا يجهله أحد منهم[1] .

ثم يبين الطبرى أصدق وأوثق من يؤخذ عنه التفسير مما للعباد سبيل إلى تفسيره فيقول: أحق المفسرين بإصابة الحق فى تأويل القرآن الذى إلى علم تأويله للعباد السبيل أوضحهم حجة فيما تأول وفسر مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه إما من وجه النقل المستفيض. أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته وأوضحهم برهاناً فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان إما بالشواهد من أشعارهم السائرة وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائنا من كان ذلك المتأول والمفسر بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة[2] .

١ ــ وما دام هناك تفسير عن الرسول فما عداه من تفاسير منبوذ وإن احتملها ظاهر الآية . . . عن إسماعيل بن سميع عن أبى رزين قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرأيت قوله: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) فأين الثالثة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٢٥ : ٢٦ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٢١ .

إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان هى الثالثة . . أسباط عن السدى فى قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان إذا طلق واحدة أو[اثنتين إما أن يمسك ويمسك أى يراجع بمعروف وإما سكت عنها حتى تنقضى عدتها فتكون أحق بنفسها . . .

جويبر عن الضحاك فى قوله: (الطلاق مرتان فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان) [٢٢٩ البقرة] قال يعنى تطليقتين بينهما مراجعة فأمر أن يمسك أو يسرح بإحسان قال فإن هو طلقها ثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، وكأن قائلى هذا القول الذى ذكرناه عن السدى والضحاك ذهبوا إلى أن معنى الكلام الطلاق مرتان فإمساك فى كل واحدة منهما لهن بمعروف أو تسريح لهن بإحسان . وهذا مذهب مما يحتمله ظاهر التنزيل لولا الخبر الذى ذكرته عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه إسماعيل بن سميع عن أبى رزين فإن اتباع الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بنا من غيره[١].

٢ ــ والطبرى حين يمتنع عليه توثيق رواية يلجأ إلى ظاهر الآية فيفسرها تفسيراً ظاهراً مكشوفاً قريباً من الفهم وهو يفضل هذا التفسير الظاهر للآية وإن احتملت الآية تفسيراً باطنياً . يقول فى الآية: (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) . . . [١٦٧ البقرة] ثنا أسباط عن السدى كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أنهم أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فيرثونهم فذلك حين يندمون . . فالذى أولى بتأويل الآية ما دل عليه الظاهر دون ما احتمله الباطن الذى لا دلالة على أنه المعنى بها والذى قال السدى فى ذلك وإن كان مذهباً تحتمله الآية فإنه منزع بعيد ولا أثر بأن ذلك كما ذكر تقوم له حجة فيسلم لها ولا دلالة فى ظاهر الآية أنه المراد بها فإذا كان الأمر كذلك لم يحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل[٢].

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٢ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢ ص ٤٤ و ٤٥ .

٣ — وهو يأبى فى تفسيره الظاهرى إلا أن يفسر اللفظة القرآنية تفسيراً لغوياً تعرفه العرب وقت نزول القرآن ولا يحمل اللفظة معانى جاء بها تطور الزمن . يقول فى الآية : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلبُ على عقبيه) [١٤٣ البقرة] وقال بعضهم إنما قيل ذلك من أجل أن العرب تضع العلم مكان الرؤية والرؤية مكان العلم كما قال جل ذكره ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل فزعم أن معنى ألم تر . ألم تعلم وزعم أن معنى قوله إلا لنعلم بمعنى إلا لنرى من يتبع الرسول وزعم أن قول القائل رأيت وعلمت وشهدت حروف تتعاقب فيوضع بعضها موضع بعض كما قال جرير بن عطية:

كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعا يال دارم

بمعنى كأنك لم تعلم لقيطاً لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير مالا يخفى بعده من المدة وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا فى الجاهلية وجرير كان بعد برهة مضت من مجىء الإسلام . وهذا تأويل بعيد من أجل أن الرؤية وإن استعملت فى موضع العلم من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئاً فلا توجب رؤيته إياه علماً بأنه قد رآه إذا كان صحيح الفطرة فجاز من الوجه الذى أثبته رؤية أن يضاف إليه إثباته إياه علماً وصح أن يدل بذكر الرؤية على معنى العلم من أجل ذلك فليس ذلك وإن كان فى الرؤية لما وصفنا بجائز فى العلم فيدل بذكر الخبر عن العلم على الرؤية لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ويستحيل أن يرى شيئاً إلا علمه كما قدمنا البيان مع أنه غير موجود فى شىء من كلام العرب أن يقال علمت كذا بمعنى رأيته وإنما يجوز توجيه معانى فى كتاب الله الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم من الكلام إلى ما كان موجوداً مثله فى كلام العرب دون ما لم يكن موجوداً فى كلامها فوجود فى كلامها رأيت بمعنى علمت وغير موجود فى كلامها علمت بمعنى رأيت فيجوز توجيه « إلا لنعلم » إلى معنى « إلا لنرى » (١) .

٤ — غير أنه لا يفسر لغوياً إلا فى نطاق التفسير الأثرى وهو بهذا يضاد

---

(١) تفسير الطبرى ج ٢ ص ٩ و ١٠ .

المنزع اللغوى الخالص . فهما كان للآية من مذهب لغوى فهو عنده مرفوض إن اصطدم بالتفسير الأثرى الموثق عنده . إذن الطبرى يرعى التفسير بالمأثور ويضعه فى الاعتبار الأول إن اصطدم بالتفسير اللغوى كما أن اللغويين يميلون إلى المذهب اللغوى إن اصطدم بتفسير المفسرين .

يقول الطبرى فى الآية : (وإن منها لما يَهْبِطُ من خشية الله .) [٧٤ البقرة] اختلف أهل النحو فى معنى هبوط ما هبط من الحجارة من خشية الله . فقال بعضهم : إن هبوط ما هبط منها من خشية الله تفيؤ ظلاله . وقال آخرون : ذلك الجبل الذى صار دكًّا إذ تجلى له ربه . وقال بعضهم : ذلك كان منه ويكون بأن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفه والفهم فعقل طاعة الله فأطاعه كالذى روى عن الجذع كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فلما تحول عنه حن . وكالذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن حجراً كان يسلم على فى الجاهلية إنى لأعرفه الآن . وقال آخرون بل قوله يهبط من خشية الله كقوله جداراً يريد أن ينقض ولا إرادة له قالوا وإنما أريد بذلك أنه من عظم أمر الله يرى كأنه هابط خاشع من ذل خشية الله كما قال زيد الخيل :

بجمع تضل البلق فى حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

وكما قال سويد بن أبى كاهل يصف عدوًّا له يريد أنه ذليل :

ساحب المنخر إذ يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع

وكما قال جرير بن عطية :

لما أتى خبر الرسول تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع

وقال آخرون : معنى قوله يهبط من خشية الله أى يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه كما قيل . ناقة تاجرة إذا كانت من نجابتها ونزاهتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها كما قال جرير بن عطية :

وأعور من نبهان أما نهاره فأعمى وأما ليله فبصير

فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد بذلك صاحبه النبهانى الذى يهجوه من أجل أنه فيهما كان ما وصفه به .

وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها . وقد دللنا فيما مضى على معنى الخشية وأنها الرهبة والمخافة فكرهنا إعادة ذلك فى هذا الموضع[١] .

٥ — وموقف الطبرى من التفسير القصصى موقف عقلى ناقد فلا يقبل رواية بغير دليل عليها من خبر أو لغة أو استنباط . يقول الطبرى فى الآية: (وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) . [٢٤٨ البقرة] . . وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أخبر عن التابوت الذى جعله آية لصدق قول نبيه صلى الله عليه وسلم لأمته أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً وذكر أن فيه سكينة منه وبقية مما تركه آل موسى وآل هارون وجائز أن تكون تلك البقية العصا وكسر الألواح والتوراة أو بعضها والنعلين والثياب والجهاد فى سبيل الله . وجائز أن يكون بعض ذلك وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم ولا خبر عند أهل الإسلام فى ذلك للصفة التى وصفنا وإن كان كذلك فغير جائز فيه تصويب قول وتضعيف آخر غيره إذ كان جائزاً فيه ما قلنا من القول[٢] —.

والطبرى بموقفه هذا يحارب المنزع القصصى الخيالى الذى استفاض فى عصره وحاول معرفة كل شىء فى القرآن . لنر ما يقوله عند الآية: (فقلنا اضربوه ببعضها) [٧٣ البقرة] . . . اختلف العلماء فى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة وأى عضو كان ذلك منها . . والصواب من القول فى تأويل قوله عندنا: (فقلنا اضربوه ببعضها) أن يقال أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب ولا دلالة فى الآية ولا خبر تقوم به حجة على أى أبعاضها التى أمر القوم أن يضربوا القتيل به وجائز أن يكون الذى أمروا أن يضربوه به هو الفخذ وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف وغير

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢ ص ٣٨٨ .

ذلك من أبعاضها ولا يضر الجهل بأى ذلك ضربوا القتيل ولا ينفع العلم به مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله[١].

إن المرتبة الأولى عند الطبرى للنقل الصحيح فروايات التفسير النقلية عنده أولا وقبل أى تفسير آخر مهما صح . والمرتبة الأولى عند الزمخشرى للعقل يخضع معنى الآى بمنطقه لما يعتقده من معان اعتزالية ثم يستعين النقل بعدئذ فى تقوية المعنى الذى ارتآه لتفسير الآيات. وإذا لم يجد الطبرى التفسير الأثرى الصحيح فهو يفسر لغويًّا بمعان عرفتها العرب فى منطق كلامها ولا يحاول أن ينحل اللفظة معانى لم تعرفها العرب فى منطق كلامها عند نزول القرآن عليها — على عكس الزمخشرى — ثم هو لا يتأول لمعنى الآى أو يفسرها تفسيراً باطنيًّا عقليًّا فإن ذلك المنحى منحى الزمخشرى. وبينا يقف الطبرى من روايات التفسير النقلية موقفاً عقليًّا ناقداً للروايات ناخلا للنقول فإن الزمخشرى يتسمح بكل نقل لا يضار رأياً اعتزاليًّا أو يعارض أصلا كلاميًّا .

وهكذا نجد أنه بينا كان اللغويون يعرضون القرآن أسلوبه ولغته على كلام العرب ويغلبونه هذا المنحى اللغوى فى التفسير على تفسير المفسرين كان المتأولون إما عقليون كالزمخشرى يحملون معنى الآى مالا يحتمل بتشقيق المعنى عقليًّا وإخضاعه لمذاهبهم الكلامية وإما وجدانيون يفيضون من عاطفة حبهم ووجدهم على الآى فيحملون معانيها أيضاً مالا تدل عليه . وبينا نجد القصصيين يحاولون فض سر كل إشارة أو لمحة فى القرآن والإحاطة بتفصيل ما فيه كله والتسمح بكل خبر أو رواية فى سبيل ذلك إذا بأهل الأثر لا يعترفون إلا بالآثار الصحيحة أولا فإن لم يوجد الأثر الصحيح المقطوع به فسروا تفسيراً لغويًّا قريباً .

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٢ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ وأمثلة أخرى جـ ١ ص ٤١٤ آية (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) جـ ٢ ص ١٩ . . إلخ

ووقفتنا بعد عند :

مبحث الزمخشري في بيان إعجاز القرآن :

رأينا في فصل الإعجاز كيف أن العرب — مصدقين ومكذبين — منذ نزل القرآن فيهم كانوا يدركون صفة الإعجاز في هذا الكتاب الإلهي ويحسون صنيعه في نفوسهم واستيلائه على مواطن إعجابهم وفتنتهم وملكه لإحساسهم، فلما كانت حركة الفتح الإسلامي تعرض الكتاب العربي لحركة طعن وتشكيك مما دعا إلى الدفاع عنه وبحث قضية الإعجاز بحثاً علمياً منظماً دار حول قطبين : إما أنه معجز بنظمه أو معجز بالصرفة . أو هو معجز بكليهما معاً وتشعب رأي القائلين بالإعجاز في النظم فقال بعض : هو معجز بفصاحة ألفاظه المنظومة. وقال بعض آخر : بل هو معجز بأحكام معاني النحو الحادثة من تأليف الكلم ونظمه، وقد تابع الزمخشري هذا الرأي الأخير وعالجه على نطاق واسع في تفسيره يشمل سور القرآن جميعها فوقفنا على مزية نظم القرآن من ناحية الجمال الحادث عن أحكام معاني النحو وتنبه إلى إيحاءات الألفاظ وما تلقيه من ظلال معنوية ونفسية استجلى جمالها وعرض للألفة النفسية والمعنوية بين الألفاظ المنظومة . وحلل جمالياً المعاني النفسية الكامنة وراء النظم في آي نظر إليها كوحدة معنوية واستعان ثقافته في تحليله الجمالي هذا للآي .

والزمخشري في معالجته الجمالية لصور البيان القرآني أخضع هذه المعالجة لرأي المعتزلة اللغوي في أن معظم اللغة مجاز — على خلاف السنية — ثم عرض لصور من البيان القرآني تتبع مزاياها الجمالية — إلا أننا رأيناه في أسلوب المجاز القرآني يفسره ويبسط معناه ولا يبحث فيه من الناحية الجمالية إذ الناحية العقدية مستأثرة باهتمامه تدفعه إلى أن يشكل معنى النص وفق الرأي الاعتزالي . ثم تأثر الزمخشري عبد القاهر رأيه في أن اللفظ خادم للمعنى وأنه قشر والمعنى اللب ولهذا لم يعرض إلا لثلاث صور من صور البديع لم يوقفه عندها إلا

جمالها المعنوى أولا . ورأى الزمخشرى أن فى القرآن بليغاً وأبلغ وهذا نوع من الإحساس الفنى لم يشبع القول فيه ولكنه ألمع ولم يفصل . . .

* * *

و بعد فالزمخشرى إن وهو يفسر و إن وهو يبحث الإعجاز القرآنى فقد كانت شخصيته الاعتزالية واضحة بينة تطالعنا فى التفسير كما تطالعنا فى البحث الجمالى لآى القرآن . وهذه الناحية إن عدت من سيئات الزمخشرى عند قوم فهى من الوجهة العلمية الخالصة تنم عن أصالة ورسوخ قدم فى البحث الكلامى فقد عرف الزمخشرى كيف يسخر أدواته الثقافية فى خدمة رأيه الاعتزالى سواء فى فهمه للقرآن أو فى تذوقه لجماله .

وأكبر ما يوجه إلى منهجه من نقد هو أنه لم يعرف حدود العقل فحكّمه فى كل مجال من مجالات الدين ، وتلك بطبيعتها تقتضى الإيمان بالغيب ، والتسليم المطمئن مع التحكيم الواعى للعقل فيما له مجال فى ارتياده . أما مبحثه فى الإعجاز القرآنى فقد كان يساير ما اتسم به البحث البلاغى على مدى العصور وهو النظرة الجزئية إلى العبارة أو العبارتين فى النص الأدبى لا تعدوه إلى العمل الأدبى كله ، حقاً قد ظفر الزمخشرى بنتائج ذات بال من وقفاته الجمالية القصيرة ولكن ما كان يفيده من تحليل للنص القرآنى كاملا كان يصل به إلى نتائج أكثر قيمة ، ولهذا فلن نتوقع مثلا أن يفرد باباً للتشبيه فى القرآن أو لأمثال القرآن أو للقسم فيه أو للاستعارة القرآنية أو لأدب الجدل أو لغير ذلك من مباحث ترتاد الميادين الأدبية أو النفسية فى القرآن . ومع ذلك كله فما نجده عند الزمخشرى من مباحث جملية هى غاية ما وصل إليه الدرس البيانى فى عصره محدوداً بما كان له من طاقات وما أوتيه من أسباب .

المصادر الأساسية

١ ــ الآثار الباقية للبيرونى محمد بن أحمد أبو الريحان البيرونى الخوارزمى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ . نشره إدوارد ساشو . مطبعة ليبزج سنة ١٩٢٣م .

٢ ــ التذكار فى أفضل الأذكار لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ط . المعارف العلمية ١٣٥٤ هـ .

٣ ــ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء الشاسى المقدسى المعروف بالبشارى . الطبعة الثانية ليدن سنة ١٩٠٦ م .

٤ ــ أساس البلاغة لمحمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ. طبعة دار الكتب سنة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢ م

٥ ــ أطواق الذهب فى المواعظ والخطب للزمخشرى. مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ (واستشهدت مرة واحدة بنسخة طبعة أوربا نشرها باربيه دى مينارد)

٦ ــ إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلانى (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ)مطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ بالقاهرة .

٧ ــ أعجب العجب فى شرح لامية العرب لمحمود بن عمر الزمخشرى . الطبعة الثالثة سنة ١٣٢٨ هـ. مطبعة محمد مطر الوراق بمصر .

٨ ــ الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد لأبى الحسين الخياط المتوفى سنة ٢٩٠ هـ. ط ١٩٢٥م نشرة نيبرج

٩ ــ الانتصاف من الكشاف لأحمد بن المنير الإسكندرى المتوفى سنة ٦٨٣ هـ على هامش تفسير الكشاف . الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣٠٧ هـ .

١٠ ــ الإيمان . تأليف شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية الحرانى المتوفى سنة ٧٢٨هـ. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ . طبع بمطبعة السعادة.

١١ ــ بيان إعجاز القرآن لأبى سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ=١٩٥٣م. مطبعة دار التأليف .

١٢ ــ تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الأصفهانى اختصار الشيخ الفتح بن على بن محمد البندراى الأصفهانى مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٨ هـ=١٩٠٠م

١٣ ــ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ. طبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٦ هـ .

١٤ ــ التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين تأليف أبى المظفر الأسفراييني المتوفى ٤٧١هـ مطبعة الأنوار الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م

١٥ ــ تفسير جزء عم للشيخ أبى الحسن الرمانى المتوفى سنة ٣٨٢ هـ . خط سنة ١٠٩٦ بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) تفسير .

١٦ ــ تفسير ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ المسمى (جامع البيان فى تفسير القرآن) الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ .

١٧ ــ تفسير القرآن العظيم لأبى سهل محمد بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م . بمطبعة السعادة .

١٨ ــ الحيوان للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ط . مصطفى البابلى الحلبى سنة ١٩٣٨ م .

١٩ ــ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ بتصحيح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى ونشره السيد محمد رشيد رضا الطبعة الثانية بمطبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

٢٠ ــ ديوان الأدب للزمخشرى . مخطوط بدار الكتب فى ١١٩ ورقة تحت رقم (٥٢٩) أدب .

٢١ ــ ربيع الأبرار للزمخشرى مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية وفى آخره نقله بخطه لنفسه عبد الواسع بن عبد الرحمن الفرسى وأتم مقابلته على أمهاته سنة ١٠٩٧ هـ.

٢٢ ــ رسائل الجاحظ على هامش الكامل للمبرد اختيار الإمام عبيد الله بن حسان مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ مصر .

٢٣ ــ سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ الطبعة الأولى المطبعة الرحمانية ١٣٥٠ هـ ــ ١٩٣٢ م .

٢٤ ــ السيرة لابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ طبعة السقا سنة ١٩٣٦ م (أصل الكتاب لمحمد بن إسحق المتوفى سنة ١٥٢ هـ واختصره ابن هشام فنسب له) .

٢٥ ــ شرح مفصل الزمخشرى لابن يعيش طبعة ليبزج سنة ١٨٨٦ م .

٢٦ ــ ضحى الإسلام لأحمد أمين الجزء الأول . الطبعة الثالثة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨م . الجزء الثانى الطبعة الثالثة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م . والجزء الثالث الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م .

٢٧ ــ العرائس للثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ طبع المطبعة السعيدية بمصر بدون تاريخ .

٢٨ ــ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى . الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٤هـ

٢٩ ــ فى التصوف الإسلامى لنيكولسون . تعريب أبى العلا عفيفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

٣٠ ــ القرطين لابن قتيبة صنفه ابن مطرف الكنانى أو كتابى مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة . الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ جزءان مطبعة الخانجى .

٣١ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشرى . الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرفية سنة١٣٠٧هـ

٣٢ ــ المجاز فى تفسير غريب القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى كتبه عمر ابن يوسف من القرن الرابع مكتبة مراد ملة خط صورته الجامعة العربية .

٣٣ ــ محاجات ومتمم مهام أرباب الحاجات فى الأحاجى والأغلوطات . مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٢٦) مجاميع لمحمود بن عمر الزمخشرى فى خمس وعشرين ورقة كتبه حسن بن على فى اليوم الثانى والعشرين من رجب سنة خمس وثمانين وألف هجرية بمدرسة حاجى أوطه باشا .

٣٤ ــ المزهر لأبى بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ . طبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ (جزءان) .

٣٥ ــ المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى . مخطوط فى ٣٣٥ صفحة تحت رقم (٣٥٥) أدب بدار الكتب وفى نهايته علقه لنفسه وإن شاء الله من بعده ... محمد بن عطية الجناز الطولونى الشافعى . . بتاريخ يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمانية وألف من الهجرة النبوية .

٣٦ ــ مشكل القرآن لابن قتيبة مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٦٣) تفسير مكتوب فى نهاية المخطوطة كتبه محمد بن أحمد بن يحيى رحمهما الله فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وثلثمائة .

٣٧ ــ معانى القرآن للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ من سورة الزمر إلى آخر القرآن . مكتبة نور عثمانية وتاريخ النسخ من أول الرابع عدد الأوراق (١٥١) مخطوط صورته الجامعة العربية .

٣٨ ــ معانى القرآن وإعرابه تأليف أبى إسحق إبراهيم بن السرى الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ خط . الجزء الرابع ويبتدئ بتفسير سورة يس وينتهى إلى آخر تفسير سورة التين بآخره خط ابن برى محمد بن محمد بالتملك . عدد الأوراق (٢٠١) وبآخره . وكتب أبو عبد الله الحسين بن كامل ابن عبد الله البغدادى فى شهر ذى الحجة من سنة تسع وثمانين وخمسمائة . صورت المخطوط الجامعة العربية.

٣٩ ــ المفرد والمؤلف للزمخشرى بخط على بن أحمد بن محمد الشهير بشمس الخيوقى الخوارزمى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وهو فى خمس ورقات . خط بدار الكتب تحت رقم (١٥٩٢) لغة .

٤٠ ــ مقالات الإسلاميين للإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ . عنى بتصحيحه هـ . ريتر إستانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٢٩ م .

٤١ ــ مقامات الزمخشرى . ط سنة ١٣١٢ هـ .

٤٢ ــ مقدمة الأدب للزمخشرى . طبع سنة ١٨٤٣ المسيحية فى مدينة ليسا .

٤٣ ــ مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ . طبع المطبعة البهية المصرية .

٤٤ ــ مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية . ط . الترقى بدمشق سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م .

٤٥ ــ الملل والنحل لابن أبى الفتح محمد بن أبى القاسم عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ . طبعة بولاق سنة ١٢٦٣ هـ . المطبعة العنانية .

٤٦ ــ النكت فى إعجاز القرآن العظيم تأليف الشيخ أبى الحسن الرمانى . خط تحت رقم (٢٩٨) تفسير التيمورية بآخره . تمت هذه الرسالة بقلم . . . محمد أمين بن الشيخ عمر بن الشيخ الدنف الأنصارى خادم الحرم الشريف والمسجد الأقصى المنيف . . . ١٥ ربيع الثانى سنة ١٣١٨ هـ .

٤٧ ــ نوابع الكلم للزمخشرى . الطبعة الأولى بالمطبعة الكلية سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤م .

مصادر غير مباشرة

١ — القرآن الكريم .

٢ — الكتاب المقدس مطبعة جمعية التوراة البريطانية والأجنبية بكامبردج .

٣ — الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى . مطبعة حجازى بالقاهرة جزءان سنة ١٣٦٨ هـ .

٤ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ طبعة حيدرآباد الدكن سنة ١٣١٨ هـ .

٥ — الإصابة لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ طبعة كلكتة سنة ١٨٨٨ م

٦ — الأضداد لأبى حاتم المتوفى سنة ٢٥٠ هـ . (ضمن ثلاثة كتب فى الأضداد) نشرها الدكتور أوغست هفنر أستاذ العربية فى كلية أنسبروك المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩١٢ م .

٧ — إعجاز القرآن للرافعى . ط مصر .

٨ — أمالى المرتضى (درر الفوائد وغرر القلائد) للشريف أبى القاسم على ابن الطاهر أبى أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م مطبعة السعادة .

٩ — الأنساب للسمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . طبعة ليدن سنة ١٩١٢ م .

١٠ — بغية الوعاة للسيوطى . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ . مطبعة السعادة .

١١ — البيان والتبيين للجاحظ . المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ .

١٢ — تاج التراجم فى طبقات الحنفية لابن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩ هـ . نشره جوستاف فلوجل .

١٣ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى منذ تأسيس بغداد حتى تاريخ وفاة المؤلف سنة ٤٦٣ هـ مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ هـ الموافق سنة ١٩٣١ م .

١٤ — تاريخ الكامل لعز الدين بن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . طبعة الشيخ أحمد الحلبى ومحمد أفندى مصطفى سنة ١٣٠٣ هـ .

١٥ – تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمى النيسابورى على هامش تفسير الطبرى . الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ .

١٦ – جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر إدارة الطباعة المنيرية .

١٧ – حجج القرآن لجميع أهل الملل والأديان لأبى الفضل الرازى (من أعيان القرن السابع) طبعة المطبعة والمكتبة المحمودية بمصر بدون تاريخ .

١٨ – حلية الأولياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . ط سنة ١٣٥١ هـ بمطبعة السعادة .

١٩ – خطط المقريزى تقى الدين أحمد بن على المتوفى سنة ٨٤٥ هـ طبعة دار الطباعة المصرية المنشأة ببولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

٢٠ – دائرة المعارف الإسلامية . (مادة تفسير) بقلم أمين الخولى .

٢١ – رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار) . طبعة المطبعة الأهلية بباريس.

٢٢ – رسائل البلغاء نشرها كرد على. الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٢٣ – الصناعتين لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . الطبعة الثانية مطبعة محمد على صبيح بمصر ..

٢٤ – الطبقات الكبير لابن سعد المتوفى عام ٢٣٠ هـ طبعة أوربا .

٢٥ – طبقات المفسرين للسيوطى طبعة أوربا . نشره فيشر .

٢٦ – الطراز ليحيى بن حمزة العلوى اليمنى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ طبع بمطبعة المقتطف فى مصر سنة ١٩١٤م = ١٣٣٢ هـ فى ثلاثة أجزاء نشره سيد المرصفى .

٢٧ – الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق المتوفى سنة ٣٨٥ . المطبعة الرحمانية بمصر .

٢٨ – فهارس دار الكتب والمكتبة الأزهرية بالقاهرة .

٢٩ ــ كشف الظنون لحاجى خليفة . طبعة أوربا .
٣٠ ــ مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط . طبعة المعارف سنة ١٣١٥ هـ . جزءان فى مجلد .
٣١ ــ المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء إسماعيل بن على عماد الدين المتوفى سنة ٧٣٢ هـ . بالمطبعة العامرة الشاهانية بالقسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ .
٣٢ ــ مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى لسيد أمير على نقله إلى العربية رياض رأفت . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م .
٣٣ ــ المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن تأليف اجنتس جولد تسيهر ترجمة على حسن عبد القادر . مطبعة العلوم بالقاهرة ١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٤ م .
٣٤ ــ مسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ . طبعة المعارف الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٨ هـ = سنة ١٩٤٩ م .
٣٥ ــ معجم الأدباء لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . من مطبوعات دار المأمون بمصر . الطبعة الأخيرة نشرها الدكتور أحمد فريد رفاعى (١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨م) .
٣٦ ــ معجم البلدان لياقوت الحموى . طبعة أوربا مطبعة ليبزج سنة ١٨٧٣ هـ .
٣٧ ــ معجم سركيس للمطبوعات العربية . ط مصر .
٣٨ ــ معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ نشره داؤود وهلم موهر من طبع فى مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٨ م .
٣٩ ــ من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده للأستاذ محمد خلف الله أحمد. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م .
٤٠ ــ المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل لأحمد بن يحيى المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ . اعتنى بتصحيحه توما أرنولد . طبع مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٦هـ .
٤١ ــ الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . المكتبة العلامية سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .

٤٢ — النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لجمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م .

٤٣ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد الإمام أبو البركات كمال الدين الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . طبع حجر سنة ١٢٩٤ هـ بالقاهرة .

٤٤ — النهاية لأبى السعادات ابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ طبع المطبعة العثمانية بمصر ١٣١١ هـ .

٤٥ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضى أحمد الشهير بابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ . مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

٤٦ — يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى بالقاهرة .

٤٧ — Literary History of Persia By Brown